ظاهرة الزهد في العصر العباسي (زهد أبي العتاهية أنموذجاً)

د. زينب عبد الكريم الخفاجي
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

Asceticism Trend During the Abbasid Period (Abu Al-Atahya Asceticism as a Sample)

PhD. Zaynab Abdul Kareem Al-Kafaji
College of Arts/ Al-Mustansiriya University

Abstract

Asceticism trend was not a new trend during the Abbasid period, it had roots during the previous periods. There were many poems in asceticism during the early Islamic period and the Umayyad period. The main subject of these poems is to be detached from the pleasures of life. This type of art became a distinctive art during the Abbasid period as a reaction to the irreligion during that period.

المقدمة:

لا تعد ظاهرة الزهد ظاهرة جديدة طارئة على العصر العباسي، إذ إن لها جذورها في العصور السابقة.

فهناك العديد من الاشعار في العصر الاسلامي والاموي مضمونها قطع أسباب الاتصال بلهو الحياة وملذاتها ومتاعها الساعي إلى الزوال إلا أن هذا الفن استقام واستقل واصبح فناً قائماً بذاته في العصر العباسي، وكأنه ظهر ليكون نداً لتيار الزندقة والاباحية والمجون، الذي برز في العصر العباسي.

والزهد مضمونه التقشف والادبار عن ملذات الحياة الدنيا والميل إلى العبادات وإقامة الصلوات لبلوغ رضا الله ودخول جنان الخلد ولذا فالزهد يتطلب الجهد الجهيد في محاربة هوى النفس الانسانية، ومما يذكر في أصول هذه الظاهرة أنها إسلامية خالصة، أو قد تكون ظاهرة متأثرة بالهندية أو المسيحية، كما يرى بعض النقاد[1]، ولعل من الجدير بالذكر ما قاله ألفرد جيوم: ((وتساؤلنا إلى أي حدٍ كان المتصوفة متأثرين بعوامل ودوافع خارجة عن الإسلام أمر لا أهمية له، فالمؤكد أنّ الإسلام نفسه بعقيدته وصومه وذكره كان أساس حياتهم))[2]

والشعراء الزهاد في العصر العباسي كثيرون من أمثال عبد الله بن المبارك ومحمد بن كناسة، ومحمود الوراق الذي اكثر في النظم في الزهد، دعا فيه إلى لزوم طاعة الله سبحانه وتعالى والامتثال بأوامره ونواهيه، والتوكل عليه والرضا بقضاءه وقدره من ذلك قوله:

من كان ذا مال كثير ولم يقنع فذاك الموسر المعسر
وكلٌّ من كان قنوعاً وأن كان مُقِلاً فهو المُكثرُ
الفقر في غنى النفس وفيها الغنى وفي غنى النفس الغنى الاكبر [3]

وللنساء نصيبٌ في شعر الزهد والتصوف والاستغراق في حب الذات العليا، ولعل أشعار رابعة العدوية من اجمل ما قيل في هذا المضمار، إذ يتجلى فيها الحب الالهي والعشق الروحي للخالق، من مثل قولها:

أحبّك حُبني: حب الهوى وحباً لأنّك أهلٌ لذاكا

(1) ينظر: الحضارة الاسلامية 120.
(2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري 285.
(3) ديوانه 57.

فأما الذي هو حبُّ الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواكا
وأما الذي أنت أهلٌ له فكشفُك للحُجب حتى أراكا
فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكا (1)

العصر العباسي،

هذا النزر اليسير عن ظاهرة الزهد والتصوف في العصر العباسي، ولكن ستكون الدراسة مفصلة عن الشاعر الزاهد والتصوف أبي العتاهية، وعن ديوانه الكامل في هذه الظاهرة، ولكن لا بأس من إيراد شعر لأبي نواس ذلك الماجن العابث اللامبالي، إذ نظم في أخريات عمره شداً زهدياً من أجمل ما يكون يرجو فيه غفران الله له وعفوه جاء فيه:

يا رب إنْ عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلاَّ محسنٌ فبمن يلوذُ ويستجيرُ المجرم (2)

وهكذا نجد أن أشعارهم وزهدياتهم، امتازت بصدق العاطفة وحرارة المشاعر والسعادة بالقرب والدنوض الذات الالهية، ومناجاة الخالق.

التمهيد

الزهد لغة واصطلاحاً:

الزهد لغة: القلَّة، فالشيء الزهيد هو الشيء القليل [3].

وورد ((الزهد والزهادة في الدنيا، والزُّهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الاشياء كلها ضد الرغبة))[4].

ويقال: ((زهيد، وزهد يزهد فيهما زهداً أو زهداً، ولقد زهد وزهد يزهد عنهما جميعاً، فالمراد بالزهد لغة: الرغبة عن الشيء))[5].

((وزهد فيه وعنه زهداً وزهادة: أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته، ويقال: زهد في الدنيا: ترك حلالها مخافة حسابه، وترك حرامها مخافة عقابه))[6].

أما الزهد اصطلاحاً: كما تعرفه دائرة المعارف الاسلامية: فهو ((الابتعاد عن الخطيته، والاستغناء عن الكماليات، تجنب كل ما من شأنه أن يبعد عن الخالق))[7].

وقد وردت كلمة الزهد في القران الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ**﴾[8].

((فإنهم قد باعوه بثمن قليل من الدراهم، وزهدوا فيه، لأنهم كانوا يريدون التخلص من تهمة استرقاقه وبيعه))[9].

((وقد علموا أنه حر، أو لأنهم لم يبذلوا فيه شيئاً، أو لأنهم جاملوا بهذا السعر البخس عزيز مصر، ليقدم لهم بعض التسهيلات، مع أنهم كان يمكن أن يبيعوه بسعر أعلى))[10].

(1) قوت القلوب 84/2.
(2) ديوانه 618.
(3) ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة (زهد)، ج3، 1876.
(4) المصدر نفسه، مادة (زهد)
(5) المصدر نفسه، مادة (زهد)
(6) أنيس إبراهيم، منتصر عبد الحليم، الحد الحي عطيه، خلف الله محمد: المعجم الوسيط، ص428.
(7) الافندي، محمد ثابت وجماعته، دائرة المعارف الاسلامية، مادة (زهد)، المجلد 10، ص1.
(8) سورة يوسف، اية (20)
(9) سيد، قطب: في ظلال القران، مجلد 4، ص1977.
(10) نوفل احمد: سورة يوسف (دراسة تحليلية)، سلسلة القصص القراني، ص80.

ولم ترد كلمة زهد أو مشتقاتهما في القران الكريم إلا في هذه الآية من سورة يوسف ﷺ.

وهناك تعريف ثانٍ للزهد اصطلاحاً: هو بالمعنى الإسلامي، ((الانصراف عن الدنيا ومفاتنها، والتمسك بالتقوى والعمل الصالح مع الكسب والعمل، كأن الانسان يعيش أبداَ. وقد كانت هذه النزعة رد فعل لانصراف الناس بالعراق في عصر الفتوح إلى المادة ومتاع الدنيا، فعَّمت هناك موجة واسعة من الزهد في الدنيا ونعيمها الفاني. ومن أوائل شعراء الزهد عدوة بن أذنية فقيه المدينة.

وربما تضمن شعر الزهد دعوة إلى مكارم الاخلاق مثل شعر مسكين الدَّارمي. وقد ترك الوعاظ في العصور المختلفة مادة غزيرة لمعاصريهم من الشعراء فصاغوا قصائد في الوعظ دفعت الناس إلى نبذ الحياة الدنيا والعيش للاخرة))[1].

الفصل الأول

حياة أبي العتاهية

المبحث الأول:

أ- أسمه ونسبه

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد وكنيته أبو إسحاق ولقبه ابو العتاهية، وأما نسبه فينتهي إلى قبيلة عنزة بالولاء من قبل أبيه، وإلى بني زهرة من قبل أمه التي كانت مولاة لهم وهي بنت زياد المحاربي [2]. ولد في العام مئة وثلاثين هجرية قبيل سقوط الدولة الأموية بعامين، بالقرب من الكوفة في بلدة عين تمر [3]، من أسرة فقيرة تعيش من عرق جبينها، ولا تكاد تبلغ لقمة العيش إلا بشق الانفس، حيث كانت تصنع الفخار فيحمله أبو العتاهية على ظهره ويبيعه وهو ينادي عليه بصوت عال بعبارات تعد مقاطع شعرية [4].

والعتاهية لقب غلب عليه بعدان دعاه به المهدي يوماً، وهو يقال للرجل المتحذلق. قال الأصفهاني: ((قال المهدي يوماً لأبي العتاهية: أنت إنسان متحذلق[5]، معته [6]. فاستوت له من ذلك كنيته غلبت عليه دون اسمه وكنيته، وسارت له في الناس))[7]، قال: ويقال للرجل المتحذلق عتاهية، كما يقال للرجل الطويل شناحية [8]. ويقال: ((أبو عتاهية باسقاط الالف واللام))[9]، وقيل: ((كف بأبي العتاهية لأنه كان يحبّ الشهرة والمجونَ والنعتَّه))[10].

ب- نشأته:

وتتلخص أنباء نشأته التي بين أيدينا في أنه ولد في بلدة تدعى ((عين تمر)) قرب المدينة في الحجاز. ويقول ابن خلكان: ((وقيل أنها من أعمال سقي الفرات))[11].

(1) مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ص192.
(2) ينظر: الاصفهاني، ابو الفرج علي بن حسين: الاغاني: ج4، ص1. وانظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1 ص675. وانظر ابن خلكان: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ج1 ص225، 228.
(3) عين التمر: بلدة قريبة من الانبار غدبي الكوفة.
(4) انظر: أسامة عانوتي: ابو العتاهية ص44.
(5) متحذلق: المتكيس المتظرف. لسان العرب مادة حذلق.
(6) معته: ويقال رجل معته، إذا كان مجنوناً مضطرباً في خلقه. وقد ذكر صاحب لسان في مادة (عته) هذا الخبر فقال: ((أبو العتاهية الشاعر المعروف ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية، وقيل: لو كان الأمر كذلك لقيل له أبو عتاهيه بغير تعريف؛ إنما هو لقب لا كنية، وكنيته ابو أسحاق. وقيل: لقب بذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، وقيل: لأنه يرمي بالزندقة)). لسان العرب مادة (عته)
(7) الأصفهاني ابو الفرج: الاغاني، ج4 ص3.
(8) شناحية: بالجيم المعجمة وهو تصحيف.
(9) الأصفهاني ابو الفرج: الاغاني، ج4 ص3.
(10) المصدر نفسه.
(11) ابن خلطان: وفيات الاعيان، ج1 ص198.

والراجح أن عين تمر في العراق هي مسقط رأسه ((فأنه نشأ في الكوفة والكوفة وعين التمر كلتاهما من سقي العراق))[1]. ويؤيد هذا قول عنهما في معجم البلدان ((أنها قريبة من الانبار غربي الكوفة...))[2]. ((ولا تختلف المصادر في أنه نشأ نشأة فاسدة، وضيعة))[3]. فقد ((كانت أمه مولاة وابوه بائع جرار أو كان حجاماً))[4].

فقد بدأ أول حياته ينظم الشعر وينكب على اللهو ومعاشرة المتخنثين والخلفاء من أمثال (مطيع بن أياس) ووالبة والشعراء من أمثال (أبو نؤاس). ونلاحظ أبا العتاهية في هذه الفترة يتردد أيضاً على العلماء ومساجد الكوفة فأتقن اللغة العربية وادابها.

ثم وفد على بغداد بصحبة إبراهيم الموصلي مغني المهدي والرشيد فيما بعد[5]. واتصل بالمهدي وأصبح من المقربين إليه. وحدث في هذه الفترة أن وقع أبو العتاهية في حب جارية من جواري زوجة المهدي (عتبة)، ظل يتقرب إليها بغزله ولكنها كانت تضيق بغزله، فشكته إلى المهدي فضربه مائة سوط ومنعه عنها وسجنه ثم عفا عنه. وهناك شعر له في عتبة، جاء فيه[6]:

يا عتب سيدي! مالك دين حتى متى قلبي لديك رهين
وأنا الذلول لكل ما حملتني وأنا الشقي البائس المسكين

وبعد وفاة المهدي اتصل بالرشيد وصار لا يفارقه في سفر ولا حضر وكان يجري عليه في كل عام خمسين الف درهم عدا الجوائز الكبيرة السخية التي كان ينعم بها من كبار رجال الدولة[7]. وفي سنة 180هـ وبينما كان مع الرشيد في الرقة اعلن ابو العتاهية تزهده فلبس الصوف وترك المنادمة والقول في الغزل، ولم يفلح الخليفة في ردَّه عن هذا الطريق رغم العقوبات التي فرضها عليه.

((فانتقل ابو العتاهية من مرحلة غزله وخمره إلى مرحلة جديدة تعد انقلاباً في حياته، فقد تحول من حياة اللهو إلى حياة الزهد، وظل نحو ثلاثين عاماً يتغنى بالكأس الخالدة كأس الموت الدائرة على الخلق، فالكل مصيره إلى الفناء والكل سيصبح تراباً في التراب))[8] فقال[9]:

لدوا للموت وابنو للخراب فكُلكم يصير الى تباب[10]

وأيضاً[11]:

الناس في غفلاتهم ورحى المنيَّة تطحنُ

إذن حياة ابو العتاهية مرحلتان: مرحلة الغزل والمنادمة ومرحلة الوعظ والتقشف.

(1) أنيس المقدسي: امراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص113.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص159.
(3) الأصفهاني ابو الفرج: الاغاني، ج4 ص1.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص4، 5.
(5) انظر: الاصفهاني، أبو الفرج: الاغاني، ج4 ص5.
(6) ديوان ابي العتاهية، ص277.
(7) انظر: الاصفهاني ابو الفرج: الاغاني، ج4 ص5.
(8) شوقي ضيف: العصر العباسي الاول: ص249.
(9) ديوان ابي العتاهية، ص23.
(10) تباب: هلاك.
(11) ديوان ابي العتاهية: ص267.

ولقد فطن لهذا كثير ممن ترجموا له، واستشهدوا على ذلك بقوله [1]:

ألا إنما التقوى هو العز والكرم وحبك للدّنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبدٍ تقيّ نقيصةٌ إذا صحّح التقوى وإن حاك أو حَجْم

أبوان وضعيان، ونشأة وضيعة، ونفس تحس بالضعة وتألم لهذا واستمع إلى رأي أحد معاصريه في هذه النشأة الخاملة.

((...أخبر يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نسك، وأنه جلس يحجم الناس للاجر تواضعاً بذلك. فقال: ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك؟ فقيل له بلى. فقال: أمنا في بيع الجرار من الذل ما يكفيه ويستغنى به عن الحجامة))[2].

ج- أخلاقه:

قد يكون أبو العتاهية المثل الوحيد الذي يقدمه تاريخ الادب العربي، على انفصام الشخصية بين طورين من اطوارها، فاسماعيل الشاب العابث اللاهي المتزندق الذي لم يكن يبالي بشيء قبل أن يتعرف إلى عتبة [3]، غير ذلك الشاعر المتكسب الذي يتقرب من الخلفاء من اجل الجارية، فالأول حتى يفيض بالعافية، عاشق لا يهتم أضفق أو نجح، والثاني عاشق رفضته عشقها، مضطرب، قلقن غامض العقيدة، فركن إلى الهم واليأس، وانطوى من اخفاق حبه على جرح لم يندملْ وعذاب لم ينقطع، وكآبة خانقة لاحد لها ولا نهاية.

فقد كان أبو العتاهية يدور في الأزقة والشوارع، ويجلس طوراً يحجم اليتامى والفقراء وأبناء السبيل حتى إذا عوتب في ذلك، قال: ((أردت أن أضع من نفسي حسبما رفعتني الدنيا، واضع منها ليسقط عنها الكبر، واكتسب بما فعلته الثواب!...))[4] وهو يعلم أنه يقدم على عمل لا دراية له به، وأنه أنما يقدم عليه لأخذ مال لا يحق له أخذه.

وبجانب ذلك نراه يذيع دعوة واسعة إلى محاسن الاخلاق كما يذيع حكما وامثالاً كثيرة مقتبساً لها من الاداب الفارسية، ومما روى عن حكماء العرب مثل لقمان [5]، وأفرد لها في قصيدته ((ذات الامثال)) التي يقال أنها امتدت إلى اربعة الاف بيت.

أن أبا العتاهية بعد تطليقه الدنيا صار أقرب إلى شعراء الاخلاق والحكمة، لقد كان شعره ذا الصبغة التعليمية أخذ مكانة في تربية الذوق الإسلامي وفي تهذيب الناشئين، فهو يحض على التخلق بأشرف العادات، والبذل والانفاق في وجوه الصدقات، ويدعو الانسان إلى ان يراعي حق الجوار، وحرمة الذمم وهو ينصح ابنه فيقول [6]:

ما اكرم الصَّبر وما أحسـ ن الصدق وما أزينه بالفتى
نافس إذا نافست في حكمةٍ آخ إذا اخيْتَ أهْلَ التُقى

والحقيقة هي أن خلقه الأصيل كان قبل كل شيء، خلق شاعر، يحب الحياة، ويزدهيه الحب، ويأتلف مع الجمال، ويصبوا إلى المتعة، ولكن ظروفه العامة والخاصة لم تدع أمامه مجالاً للمزح بالحياة، ولا سبيلا إلى الاقبال على الناس. فبدا في الظاهر بخيلا، وضيعاً، مذبذباً، مضطربا كثير الشكوى، عديم الصبر، وهو في جوهره غير ذلك [7].

(1) ديوان ابي العتاهية ص243، وفي رواية: السقم والفقر.
(2) الأصفهاني ابو الفرج: الاغاني، ج4 ص8.
(3) ينظر: شوقي ضيف: العصر العباسي الاول، ص249.
(4) الأصفهاني، أبو الفرج، الاغاني، ج4، ص7.
(5) ينظر: الجاحظ: البيان والتبين، ج2، ص76.
(6) ديوان أبي العتاهية، ص6.
(7) ينظر: شوقي ضيف: العصر العباسي الاول، ص250.

د- وفاته:

بقي أن نقول كلمة حول وفاة أبي العتاهية والروايات جميعاً لا تذكر سبباً خاصاً لموته، مما يحمل على الظن أن مات ميتة طبيعية. أنما هناك خلاف يسير حول تاريخ هذه الوفاة.

ففي الاغاني ذكر اربع روايات هي: 209، 210، 211، 213 [1]. وفي ((تاريخ بغداد روايتان: 211، 213))[2] وفي ((وفيات الاعيان روايتان أيضاً: 211، 213))[3]، ثم في ((البداية والنهاية 211، 213))[4]، وفي (معاهد التنصيص كذلك))[5]. وأن ابن قتيبة اقدم هؤلاء جميعاً ت 276هـ، لما توقفنا عند روايته التي لم يشركن في ذكرها أحد وهي (205)[6]. فقد عز علينا الدليل الذي يصلح لأن يدعم هذه الرواية. أما الرواية القائلة بأنه توفي سنة (209) فهي كذلك وحيدة لم نعثر على ما يؤيدها في ما وقعنا عليه من أخبار أبي العتاهية، والحكم فيها كالحكم في رواية ابن قتيبة. أما رواية ابن الشاعر محمد بن أبي العتاهية فتقول: توفي سنة (210) فدعامتها الكبرى أنها شهادة ابنه.

بقي أمامنا احتمالات: (211، 213) أما سنة (211) ذكرها القدماء أمثال الطبري الثقة والحجة في التاريخ.

وأما سنة (213) فالذين قالوا بها متأخرون بالنسبة إلى الطبري. ثم أن منهم من شك فيها بدليل بدئه بذكر سنة (211) أولاً ثم سنة (213)، قائلاً... وقيل ثلاث عشرة ومائتين [7]. وهكذا نرى أننا أزاء تأريخين راجحين: 210، 211 وقد يكون الفرق بينهما أشهر قليلة لا توجب عناء التمحيص والتحري. ومهما يكن من أمره فقد كنا نأخذ برواية (210) المنسوبة إلى ابنه وهي احق الروايات بالدرس والقبول. لولا أنها لم ترد إلا في ((الاغاني)) إلى جانب روايات أخرى: ((أخبرني الصولي عن محمد بن أبي العتاهية: أن أباه توفي سنة عشر ومائتين))[8]

فنحن إذن محقون في إيثار سنة (211) عليها لأسباب [9]:

1- أن مصدر الاول الطبري وهو قديم وموثوق.

2- أنها وردت في غيره من الاصول بشكل يدل على أنها قورنت بغيرها مزجت.

3- لم يقم عندنا الدليل على صحة سند رواية (210) إلى ابنه.

4- بين رواية ابنه ورواية الطبري فرق يسير.

وما دامت رواية الطبري أثبت من وجهة نظر التاريخ فهي أحرى بالقبول. وعلى كل فليس في ما وقع بين أيدينا من أبناء أبي العتاهية ما يوضح هذه القضية كل الإيضاح.

وتمنى أبو العتاهية عند موته أن يجيئه مخارق فيغنيه في شعره، ((قال: قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن يجيء مخارق فيضع فمهُ عليَّ ثم يغنيني))[10]. فيقول [11]:

سيعرض عن ذكري وتُنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل
إذا ما انقضت عني من الدهر مُدَّتي فإنَّ غناء الباكيات قليل [1]

(1) انظر: الأصفهاني ابو الفرج، الاغاني، ج4 ص110- 111.
(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج2، ص260.
(3) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج1، ص200.
(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص266.
(5) العباسي: معاهد التنصيص، ج2، ص300.
(6) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص769.
(7) انظر: ابن كثير: البادية والنهاية ج10، ص266، وانظر: العباسي: معاهد التنصيص ج2، ص.
(8) ألأصفهاني ابو الفرج: الاغاني ج4، ص116.
(9) انظر: أسامة عانوتي: ابو العتاهية، ص70.
(10) الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج4، ص109.
(11) ديوان ابي العتاهية ص221.

((وقال محمد بن أبي العتاهية: آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه))[2] وهو [3]:

إلهي لا تعذّبني فإنّي مقرّ بالّذي قد كان منّي
فمالي حيلةٌ إلاّ رجائي وعفوك إنْ عفوتَ وحسنُ ظنّي

((وقد أمر ابو العتاهية أن يكتب شعر على قبره وأنكر أبنه محمد ذلك. وذكر هارون بن الفضل أنه قرأ هذه الابيات على حجرٍ عند قبرٍ أبي العتاهية))[4] وهي[5]:

أذن حيَّ تسمَّعي أسمعهي ثمَّ عي وعي
أنا رهن بمضجعي فاحذري مثل مصرعي
عشتُ تسعين حجَّةً أسلمتني لمضجعي
كم ترى الحيَّ ثابتاً في ديار التزعزع
ليس زادُ سوى التقى فخذي منه أو دعي

((وقد مات أبو العتاهية في خلافه المأمون، ودفن حيال قنطرة الزيَّاتين في الجانب الغربي ببغداد))[6]. وقد اكثر من شعر الزهد وذكر الموت والفناء والثواب والعقاب والدعوة إلى الاكتفاء بالقليل والتخلق بالأخلاق الكريمة والانصراف عن الدنيا ومتاعها والتفكير بظلمة القبر ووحشته، وهو في كل ذلك متشائم حزين.

المبحث الثاني

عقيدته أو اتهامه بالزندقة

تباينت الآراء في عقيدة أبي العتاهية وفي ((الاغاني)) طعن صريح بها: ((كان أبو العتاهية مذبذباً في مذهبه، يعتقد شيئاً، فإذا سمح طاعنا عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره))[7].

ويبسط الاصفهاني مذهبه فيقول: ((كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد، وأن الله خلق جوهرين متضادين الخير والشر لا من شيء، ثم أنه بنى العالم هذه البنية منهان وأن العالم حديث العين والصنعة لا محدث له إلا الله، وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين... ويتشيع بمذهب الزيدية البحترية المبتدعة [8]))[9] فالواقع أن معاصريه قد شكوا في عقيدته ولكننا لم نر لهم في ذلك حجة معقولة.

فمنهم من اعتمد [10] على قوله [11]:

---

(1) مدتي: اجلي، وفي ((الاصول)) ليلتي.
(2) الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج4، ص110.
(3) ديوان أبي العتاهية، ص263.
(4) الأصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج4 ص111. وانظر ابن عبد ربه: عقد الفريد، ج3 ص248.
(5) ديوان أبي العتاهية: ص160.
(6) الاصفهاني، أبو الفرج: الاغاني، ج4 ص111.
(7) الأصفهاني، ابو الفرج: الاغاني ج4، ص6.
(8) الزيدية: ((فرقة نسبت إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، تقصر الامامة على اولاد فاطمة ولا تجيز الامامة في غيرهم. والتجربة طائفة منهم أصحاب كثير النوى الابتر. توقفوا في أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر، وفضلوا عليا على جميع الناس بعد رسول 6)). انظر الهامش: الاصفهاني ابو الفرج، الاغاني ج4، ص6، وانظر الشهرستاني: الملل والنحل ج1، ص249، 261.
(9) الاصفهاني، ابو الفرج الاغاني، ج4 ص5- 6.
(10) ينظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء ج2 ص169.
(11) ديوان ابي العتاهية، ص127.

إذا ما استجزت الشك في بعض ما ترى فما لا تراه الدهرا مضى واجوز

وقوله [1]:

يا رب لو انسيتينها وهي في جنة الفردوس لم انسها

ومنهم من احتج بأنه لا يذكر في شعره الجنة والنار، وإنما يذكر الموت فقط[2]. ولعل ابن المعتز كان من أشدهم اعتدالاً في الحكم عليه فقد قال: ((ويرى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ، وذكر الموت والحشر والنار والجنة. والذي يصح لي أنه كان ثنوياً))[3] [4] ولكنه يروي عن علي بن إسحاق عن الفضل المبارك الثنوية))[5] ولم يعدم أبو العتاهية المدافعين. فقد حدث رجاء بن سلمة فقال: ((سمعت أبا العتاهية يقول: قرأت البارحة عم يتساءلون ثم قلت قصيدة منها. قال: وقد قيل أن منصور بن عمار شنع عليه بهذا))[6] ويروي النسائي عن ابن أبي العتاهية أن جارة لأبي العتاهية وشت به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فقد رأته ذات ليلة فزعمت أنه يكلم القمر فبات حمدويه في منزلها يرقبه فرآه يصلي ولم يجحد عليه وأخذا، فانصرف حمدويه خاسئاً))[7]. ومن الطبيعي ان يرد أبو العتاهية على هذه التهمة ففي ((الاغاني)) ((أنه قال: زعم الناس أني زنديق والله ما ديني إلا التوحيد. فقلنا له، فقل شيئاً نتحدث به عنك))[8] فقال [9]:

إلا أنّنا كلُّنا بائد وأيُّ بني آدمٍ خالدُ
وبدوهم كان من رَبّهم وكل إلى ربه عائدُ
وفي كل شيء له آيةٌ يحلُّ على أنه الواحدُ

ولا يصح عندي، أن يعد هذا الشعر تفنيدا للتهمة. فقد يكون ابو العتاهية وصفه خصيصاً وزعم أن اراءه فيه من صلب عقيدته ليبرأ من تهمة الزندقة التي كان حسابها عسيرا يومذاك ولكني لا اؤيد التهمة لأنه كان مطعوناً في إسلامه بناء على معان ظن أنها الاثنينية [10] في شعره وعلى الزهد وهو من مبادئ المانويه[11]، فأن الأخذ بهذا الرأي فيه كثير من التجني على الرجل، ولا يصح قبل تمحيص دقيق لهذا الشعر ولمذهب الاثنينية. وبناء على أنه لا يذكر البعث في شعره، ولا يؤمن إلا بما تقع عليه الحواس. كل هذا من مظاهر الضعف في مذهبه. ويقول ((نكلسون)) من ان تفكير أبي العتاهية يخلو من الكفر الصريح. يبدو أن في شعره نزعة فلسفية لا تتفق ولا تعبر عن المفهوم العيني الاسلامي وكان هذا كافياً لأن يعده معاصروه من

(1) ديوان أبي العتاهية، ص285.
(2) ينظر: الاصفهاني ابو الفرج: الاغاني ج4، ص34.
(3) المقصود بالثنوية: ((هؤلاء اصحاب الاثنين الازليين يزعمون أن النور والظلمة ازليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام...)) انظر الشهرستاني الملل والغل ج2 ص72.
(4) ابن المعتز طبقات الشعراء ج2 ص228.
(5) المصدر نفسه ص364.
(6) الاصفهاني ابو الفرج: الاغاني ج4 ص34.
(7) الاصفهاني، ابو الفرج الاغاني ج4 ص35.
(8) المصدر نفسه.
(9) ديوان ابو العتاهية ص69.
(10) الاثنينية هو مذهب المجوس الذين يقولون بالنور والظلمة كاصلين اثنين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والصلاح والفساد ويسمون احدهما النور والثاني الظلمة انظر الشهرستاني: الملل والنحل ج2، ص60.
(11) المانويه: ((أنها مذهب المنسوب إلى ماني الذي كان يرى أن العالم مصنوع من نور مظلمة وأنها ازليان. وانكر وجود شيء من غير أصل قديم. وعنده ان النور والظلمة قوتان متضادتان ومن تعاليمه أنه فرض العشر في الاموال والصلوات الاربع في اليوم والليلة،...)) انظر الشهرستانيفي المللب والنحل، ج2 ص72- 81، وشوقي ضيف: العصر العباسي الاول ص241.

العلماء ملحدا. ويقول أيضاً أن في شعر أبي العتاهية بالرغم من كل ما يقال فيه معاني اسلامية كالبعث والحساب ويستشهد بقصيدته لدوا للموت...))[1] ولكن فايدا يستدل أنه أثنيني من ارجوزته التي اعتمد منها على هذه الأبيات [2]:

لكل شيء معدن وجوهر واوسط واصغر واكبر
من لك بالمحض وكل ممتزج وساوس في الصدر منه تعتلج

((الخير والشر والصفو والكدر والمحض والممتزج وما يتولد من المعاني التي ترجح إلى النور والظلمة اللذين تدين بها المانوية والمزدكية))[3] ويعد الدكتور عبد الرحمن بدوي أبا العتاهية من الشعراء الزنادقة ويحتج برأي ((فايدا))[4] الذي أشرنا إليه آنفاً وليس في مقدورنا أن نفصل هنا في هذه الوضعية الشائكة التي تباينت فيها اراء القدامى والمحدثين على السواء، ادباء وباحثين واشتطت أحياناً كثيرة. ولكن يلوح لي أن شعر الرجل قد حمل فوق ما ينبغي، وأن تاريخه الديني لم يكن ليوحي بالتقى والورع هو الباعث على هذا الشك كله. ولا ننسى بهذه المناسبة. أن أبا العتاهية مولى من اصل فارسي. وهذا يلقي بعض النور على ما غمز في عقيدته من مبادئ دينية قد ترجع في أساسها إلى الفرس.

الفصل الثاني

المبحث الاول

دوافع الزهد عند ابي العتاهية

الزهد في العصر العباسي:

أن تيار الزهد في العصر العباسي عبارة عن ظاهرة تقليدية، وليس من ظاهرة خاصة بهذا العصر ولم يكن من ابتداعه إذ يمكن تتبع أصوله إلى عهد الرسول 6 والتماسها في بعض المأثور من حديثه، فعن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي (رض) قال: أتى لنبي 6 رجل فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا أنا عملته احبني الله واحبني الناس، فقال رسول الله 6: ((ازهد في الدنيا يحسبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس))[5].

بل يمكن الرجوع بالزهد إلى العصر الجاهلي، ومن ذلك قول الشاعر عدي بن زيد العبادي في قصيدته المشهورة [6]:

أرواحٌ مُوَدعٌ أم بُكور أنتَ فانظُر لأيّ أَمرٍ تَصيْر

وكان للتطور الاجتماعي في العصر العباسي أثر الخطير في ظهور الزهد، فشيوع اللهو والعبث والمجون والزندقة كان لابد أن يوجد حركة مضادة تسير في خط مغاير تدعو إلى التقوى وتحقر المال الدنيا وكان للوضع الاقتصادي اثر كبير في ظهور الزهد بسبب تلك الفروق الطبقية التي اوجعت طبقة فقيرة بائسة لم تجد إلا القناعة بالكفاف من الرزق مع الاعتصام بتقوى الله يقابل ذلك تدفق الاموال والثروة على طبقات معينة من المجتمع بسبب التجارة أو أي سبب اخر. وظهر الزهد منذ انقسام المسلمين فيما بينهم وقيام معارك صفين والجمل والنهروان وقويت بسبب ذلك الاضطراب السياسي فخلقت تلك الاحداث

(1) الأصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج4 ص307.
NICHOLSON, ALITERAY HISTORY OF THE ARABS 299.
(2) لا توجد هذه ابيات في الديوان.
(3) يقول الشهرستاني أن المزدكية مذهب فردك. وهو يشبه مذهب ماني في أن الكون قوامه النور والظلمة. ولقد امل فردك النساء والاموال ((وجعل الناس شركة فيها الى شراكهم في الماء والنار والكلاء)) اعتقاد فيه أن الاموال والنساء مصدر من كل خصومنة وعداوة، فاشاعتها تعني اشاعة أسباب التوافق والسواد والفضاء على بواعث النفرة والشقاق. انظر الشهرستاني الملل والنحل ج2، ص83، 89.
(4) انظر بدوي، عبد الرحمن: من تاريخ الالحاد في الاسلام ص38.
(5) ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، مجلد 2، ص1373.
(6) العبادي، عدي بن يزيد: ديوانه، ص84.

المتطرفة اثاراً متطرفة اعتزلوا القتال، فضلاً عن ظهور الاحزاب وشعر الزهد اكثر اتصالاً بحياة الجماهير من شعر الخمر والمجون الذي كان يمثل اتجاها معينا وفي فئة معينة من المجتمع بسبب ترفها. وقد كان ابو العتاهية [1] في مقدمة الزاهدين في رفضه لكل نقائض المجتمع خلقية واجتماعية وسياسية وكان محمود الوراق [2] من شعراء الزاهدين أيضاً في ذلك العصر فقد رفض تلك الحياة لم رآه من استغلال الموسدين والاغنياء للطبقة الفقيرة.

دوافع الزهد عند أبي العتاهية:

وسوف أبدأ بتحديد الدوافع العامة التي وجهت ابا العتاهية الى الزهد ثم انطلق بعدها لتحديد الدوافع الخاصة.

1-الدوافع العامة:

أ- الحياة الاجتماعية:

ظهر في المجتمع الاسلامي في العصر العباسي في القرن الثاني الهجري طائفة من النزعات الاجتماعية، منها: الشعوبية [3] واللهو، والزهد. تعد نزعة الزهد رد فعل طبيعي للنزعات السابقة المنحرفة، وما ترتب عليها من اندفاع طائفة كبيرة من الناس ليفروا انفسهم في تياراتها الصاخبة، فظهرت طائفة اخرى انكرت عليهم هذه الحياة المادية المرتبطة بالأرض ارتباطاً رخيصا، فمضو يقفون في وجه تياراتها،.. فاتجهوا الى الزهد والتقشف واداروا ظهورهم للحياة ومتعها، ومضوا يدعون الناس إلى عالم روداني، ويذكرونهم بأن هذه الحياة التي جرفتهم في تياراتها المادية حياة فانية، يقف الموت على بابها بالمرصاد، وأن وراءها حياة باقية خالدة يحاسب فيها المرء على ما قدمت يداه في حياته الدنيا...الخ))[4]

وظهور هاتين الطائفتين في هذا المجتمع ليس أمراً غريباً بل لعله شيء طبيعي، فإن الناس في عصر الاضطرابات السياسية والانقلابات الاجتماعية يفقدون طمأنيتهم في الحياة، فمنهم من يندفع خلفها، ومنهم من يجعلها وراء ظهره. ((ولهذا طان طبيعيا أن يكون العراق هو الاقليم الذي شهد ارتفاع هذه الموجة من الزهد ارتفاعاً شديداً لأنه الاقليم الذي شهد أشد صور الاضطراب السياسي والانقلاب الاجتماعي في القرن الثاني الهجري، والواقع أن المجتمع القرن الثاني الهجري لم يكن كله لهوا ومجوناً وإنما كانت فيه جوانب خيرة كثيرة، فكما كانت حانات بغداد والبصرة والكوفة وبيوت القيان بها تغصّ بالمجان والزهاد الذين رفضوا الدنيا وزينتها...الخ))[5] وأهم شاعر صور هذه الموجة من الزهد الاسلامي التي انتشرت في هذا العصر وعبر عنها أقوى تعبير هو أبو العتاهية الذي اتخذ من الزهد موضوعاً لشعره.

ب- الحياة السياسية

شهدت طفولة أبي العتاهية تلك الحياة السياسية المضطربة التي عاشها المجتمع الإسلامي عقب الانقلاب العباسي، وشهد بعينه رؤوساً تتطاير، ودماء تسيل، هذه الصورة القائمة السوداء انطبت في نفسه منذ هذا الوقت المبكر من حياته، وانطبعت في نفسه كذلك صورة قائمة لمصير الانسان في الحياة، ذلك المصير الذي شغله فترة طويلة [6]، والظروف السياسية التي عاشها ابو العتاهية في الكوفة، ومظاهر الظلم التي شاهدها ومر بها، ومشاهد الموت، فترسبت في نفسه حقارة الدنيا وهوان العمر ثم أنه ولد إبان صراع العباسين مع الامويين ومن والاهم، والشيعة ومن ناصرهم. فقد اتخذ الخليفة المنصور له في

(1) ينظر: ابو العتاهية: أسامة عانوتي، ص105.
(2) ينظر محمود الوراق (المقدمة) ص11.
(3) الشعوبية: مذهب اجتماعي ينطوي على اهداف سياسية، نادى بها بعض المتعصبين من الشعوب الاجنبية التي اخضعها العرب لحكمهم وبخاصة الفرس، وتقوم على اساس مهاجمة العرب والحط من شأنهم والتهوين من دورهم الحضاري في تاريخ الانسانية، قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ سورة الحجرات اية 13. ينظر: الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج3، ص482- 483.
(4) خليف، يوسف: تاريخ الشعر في العصر العباسي، ص35.
(5) المصدر نفسه، ص26.
(6) ينظر: حليف، يوسف: تاريخ الشعر في العصر العباسي، ص85.

الكوفة جاسوساً من أهلها اسمه (ابن مقرن)، يتجسس عليهم ويتقصى له اخبارهم ويسأله عن تطور الامور فيها، وهذه المظاهر كلها جعلت ابا العتاهية ينحى منحى الزهد في شعره.

2-الدوافع الخاصة

أ- الصنعة والخوف:

يرجح نسب أبي العتاهية إلى طبقة الانباط، وهم الطبقة الدنيا في المجتمع الدنيا، وكانوا يعيشون حول الحيرة، ((دخل يوماً ابو العتاهية وهو مضمخ بالدماء على مندل وحيان بني علي العنزي، فقال له: ويحك ما بالك؟ فقال لهما: من أنا؟ فقالا: أنت أخونا وابن عمنا ومولانا، فقال لهما: أن فلانا الجزار قتلني وضربني وزعم أنبي نبطي، فإن كنت نبطيا هربت على وجهي، والا فقوما فخذا لي بحمتي، فقام ومعه مندل بن علي وما تعلق نعله غضباً وقال له: والله لو كان حقك على عيسى بن موسى لاخذته لك منه، ومر معه حافيا حتى اخذ له بحقه))[1]. فهو يعد أن الانسان ليس باصله ونسبه، بل باعماله وأن القبر أو الآخرة هي الدار التي تسوي بين علية القوم وادناهم [2]، فيقول [3]:

وصرت الى دار هي الدار التي اقمت بها صياد وانت نشيط
محك به الاقوام ويحك تستوي فصد كرام سادة ونبيط [4]

وصنعته لم تكن قاصرة على نسبه النبطي بل تجاوزت ذلك إلى صناعة أبيه في الحجامة، فقد أشار ابو العتاهية لهذه المهنة [5]، بقوله [6]:

إلا أنما التقوى هو العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والعدم
وليس على عبد تقي نقيضه إذا صحح التقوى وأن حال او حجم

((فهو وضيع النسب، حقير المهنة، شريف النفس، يتسلح بالزهد، كما يبتعد بنفسه عن ظلم الناس، ويفخر بالتقى والزهد وطاعة الله سبحانه ويجعل ذلك فوق النسب والحسب))[7].

((وقد ظلت هذه الصنعة تطارده حتى عندما أصبح شاعراً مرموقاً في بلاط خلافة المهدي، حتى إن عتبة التي احبها ردته لانه بائع جرار متكسب بالشعر))[8] وقبل عتبه احب ابو العتاهية (سعدى) وهي من أهل الحيرة وكانت ذا حسن وجمال، ومولاة لآل معن، وكان يحبها أيضاً عبد الله بن معن بن زائدة المكني بأبي الفضل ونهاه معن عن التعرض لها [9]. قرر أبو العتاهية بعد هاتين الصدمتين أن يميت قلبه إلى الابد، وأن ينصرف عن متع الدنيا وملذاتها وأن يعتزل الناس ويفرض على نفسه حياة تقوم على الزهد والتقشف ((ومضى في زهد يجاهد نفسه مجاهدة عنيفة، إذ فرض على نفسه الحج كل عام، كما فرض عليها اعتزال الناس والميل الى الوحدة، ومفارقة مجالس اللهو والشعر والغزل، كما كان يفرض على نفسه أحياناً أن يصوم عن الكلام، ومضى يمارس هذه الرياضيات الروحية حتى ودع الحياة))[10] وفي بداية زهده امره الرشيد أن يقول شعر في

(1) أبو العتاهية: اشعاره واخباره، ص35.
(2) المصدر نفسه، ص206.
(3) ديوان ابو العتاهية، ص142.
(4) صيد: جمع اصيد: المتكبر المزهر بنفسه، انظر: المعجم الوسيط، ص556.
(5) انظر ابو العتاهية: اشماره واخباره ص348- 349، وورد الشطر الثاني هو ((الذل والندم)).
(6) ديوان ابو العتاهية: ص243.
(7) نوفل، محمد محمود قاسم نوفل: المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص177.
(8) الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج3، ص128، ورد في ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج1، ص225.
(9) انظر الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج4، ص136- 137.
(10) حليف، يوسف: تاريخ الشعر في العصر العباسي، ص88.

الغزل، لكنه رفض وصمم الخليفة على طلبه، وصمم الشاعر على امتناعه فحبسه، ولما اطلقه الرشيد من الحبس لزم بيته وقطع الناس [1]، فذكر ذلك للرشيد فقال: فولو له ((صرت زيرنساء [2]، وحلس البيت))[3] [4].

فكتب إليه ابو العتاهية [5]:

برمتُ بالناس واخلاقهم فصرتُ استأنس بالوحدة
ما اكثر الناس لعمري وما أملَّهم في حاصل العدة

(مجزوء البسيط)

أما الخوف فقد كان مبعثه لدى أبي العتاهية بيئة الكوفة التي عاش فيها، حيث انذلت الثورات في جنبات الدولة الاسلامية في مواجهة العباسين، ((وفي سبيل تأمين العباسين لانفسهم اسرفوا في سفك الدماء منذ بدأ أبو عبد الله السفاح الى عهد الرشيد الذي يعد مفخرة العصر العباسي كله...))[6] تلك الخواس السياسية التي كانت تعكي حياة الكوفة وبيئتها هي عامل هام في تكوين شخصية ابي العتاهية حتى اورثته الخوف وحب الانتقام معا، وحب الانتصار لنفسه وللناس من حوله من القهر والعجز معاً.

ب- بخله وحرصه:

تفيض اخبار أبي العتاهية بالحرص وشدة البخل، وبلغت في الاغاني أثني عشر موضعا، بلغ من قسوته فيها ((أنه اجاع خادمه حتى مات جوعا، فقد كان يجري عليه في اليوم رغيفين بغير ادام ولما عوتب في ذلك قال: من لم يكفه الكثير لم يكفه القليل من اعطى نفسه شهوتها هلك، وهذا خادم يدخل الى حرمتي وبناتي فإن لم اعوده الاقتصاد اهلكني، واهلك عيالي ومالي))[7]. وقد احرجه معاصروه وهاجموه على بخله، وكانت له إجابات عليهم منها ما يرويه صاحب الاغاني من أنه قيل لأبي العتاهية:

((مالك تبخل بما رزقك الله فقال: والله ما بخلت بما رزقني الله قط، قيل له: وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يحصى؟ قال: ليس ذلك رزقي، ولو كان رزقي لأنفقته))[8]. وسبب هذا البخل هو انه كان يرى هذا المال رزقا خاصا باولاده يواجهون به الايام بعد موته، ولاسيما بناته، فقد كان له ابنتان يقال لاحداهما الله وللاخرى بالله [9]، وقد عودهن البخل، ورباهن عليه، حتى يظل المال بعد موته في أيديهن أمنا وحماية، بدليل أنه لا يرغب عن تزويجهن من الفقراء، ذلك أنه لما تقدم له خاطب لاحدى ابنتيه قال: ((ما كنت لازوجها إلى بائع خزف وجرار؟ ولكن اختار لها موسراً))[10]. والواضح أن أبا العتاهية يخاف الفقر ويخاف السؤال، ومن هذا المنطلق كان شحيحاً بما يصل إلى يده ومن أقواله[11]:

فالمال من حله قوام العرض والوجه واللّسان
والفقر ذلٌ عليه باب مفتاحه العجز والثّواني

(النسح)

(1) انظر الاصفهانين ابو الفرج، الاغاني، ج4، ص105- 106.
(2) زير نساء الذي يكثر زيادة النساء ويحب مجالستهن ومحادثتهن، انظر المعجم الوسيط، ص34.
(3) ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص468.
(4) ديوان ابي العتاهية: ص80.

(5) ديوان ابي العتاهية: ص80.
(6) أبو الانوار، محمد: الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية، ص209.
(7) أبو العتاهية: اشعاره واخباره، ص205.
(8) الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج4، ص96.
(9) انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء ج1، ص675.
(10) الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج4، ص89.
(11) ديوان ابي العتاهية: ص270.

ت- مجتمع العامة:

كانت الكوفة تتكون من طبقات متعددة تتصدرها طبقة الارستقراطية العربية، ثم الموالي، ثم العاقة من عرب وفرس، وأنباط وسريان على تفاوت بينهم في هذا الدور من ادوار أبي العتاهية في الزهد، يعرف كيف يحكم موقفه. لأنه يقع الموقع المناسب من ذوق العامة، وهم القاعدة العريضة من طبقات الامة، أنه يهون عليهم بعظات مشقات الحياة، وويلات المعاناة. لقد تمكن أبو العتاهية من السيطرة على العامة في تلقيهم لفنه، لأنه كان شاعراً شعبيا، وفي هذا احكام لتلك الصلة التي ينشدها في مجتمعه. فعندما رأى أن غلاء الاسعار الفاحش قد عمّ المجتمع البغدادي ولمس الشكوى والتذمر من الناس، نصب نفسه محاميا عنهم، ومطالبا أولي الامر بمراجعة الامور، فرفع شكوى إلى أحد الخلفاء العصر العباسي في زمانه [1] بقوله [2]:

من مبلغ عنّي الإما م نصائحاً متوالية

(مجزوء الكامل)

لقد احتمى أبو العتاهية بالزهد ليشفي جراح نفسه وغيره من المجتمع.

ث- نيران المظالم ورائحة الموت:

لقد شاهد ابو العتاهية المجازر، وحقارة الدنيا في مجتمع الكوفة حيث اشتد الصراع بين الامويين والعباسيين، وبين بني العباس انفسهم، وشاهد هو أن الانسان مهما كان قدره ومنزلته.

دخل رجل يدعي بابي عبيد الله على المهدي، وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه، وابو العتاهية حاضراً المجلس، فجعل المهدي يشتم ابا عبيد الله وحبسه[3] فنشده ابو العتاهية قائلا [4]:

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلمَّا كثرت لديه
تهين المكرمين لها يصغر وتكرم كلَّ من هانت عليه
(الوافر)

فتبسم المهدي وقال لابي العتاهية: احسنت. فقام ابو العتاهية وقال: والله يا امير المؤمنين، ما رأيت أحداً أشد إكراماً للدنيا، من هذا الذي حبس الساعة، فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرحني عنه، فكان ابو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية [5]. لقد عاش ابو العتاهية حياة كثر فيها القتل والظلم والتقلبات السياسية في البيت العباسي بين أمراء العباسيين.

ثم ما كان يحلق العلويين من أذى وتقتيل وتشريد [6]. وفي عهد الرشيد ضرب أبو العتاهية وسجن، وشاهد قتل سجين أمام عينيه، ويرى الدكتور يوسف خليف أن سبب حبس الرشيد لأبي العتاهية هو أنه كان يكثر (ويلح في معانيه) على طغيان الملوك وغفلتهم في الدنيا، ثم زوال ملكهم مهما طال، وتساويهم بالسوقة أمام الموت، ويجعل الحديث عنهم موضوعاً لاستخلاص العبرة [7]، فيقول في ذلك [8]:

وكم من عظيم الشأن في قعر حفرة تلحَّف فيها بالثَّرى وتسربلا
(الطويل)

(1) انظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص439.
(2) ديوان أبي العتاهية: ص300.
(3) انظر أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص410- 411.
(4) ديوان أبي العتاهية، ص288.
(5) انظر الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج3، ص153- 154.
(6) انظر نوفل، محمد محمود قاسم: المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص181.
(7) انظر ابو العتاهية: أشعاره واخباره، ص405.
(8) ديوان ابي العتاهية، ص212.

وأن الالحاح على هذه المعاني وانتشارها في الاوساط الشعبية في شعر أبي العتاهية يضع من قدر الخليفة وهيبته في النفوس التي تدرك هذه المعاني وتتمثل بها.

ج- سماته النفسية واستعداده الفطري:

الزهد نمط سلوكي إنساني، يؤدي إليه التكوين النفسي لبعض الافراد من جهة، وتساعد عليه الظروف الاجتماعية من جهة أخرى، فالناس بحكم تكوينهم النفسي الانبساطي المتفتح للحياة.

ومنهم الانقباضي العازف عن الحياة، الزاهد فيها، المنطوي على نفسه[1]. رزق أبو العتاهية رهافة الحس منذ صغره ووجد في نفسه غزارة الطبع التي تمكنه من نظم الشعر، يقول عنه صاحب الاغاني: ((إنه كان ذا لباقة وفصاحة، وكان هو نفسه يعرف موهبته ويعتد بها، فقد سئل عن نفسه، فقال: أنا جرّار القوافي، وأخي جرّار التجارة))[2]. ومما يؤخذ عليه عدم ثبوته على مذهب أو نهج معين، فهو يعتقد شيئا ما ثم إذا سمع طاعنا يذم هذا الشيء، فسرعان ما يتحول عنه دون نقاش أو جدل[3].

لم تكن شخصية أبي العتاهية على شيء من التماسك والانسجام ورؤيته للعالم غريبة تكمن في تلمس العذاب ضمن السرور، وادراك النهاية في صميم البداية، وهذه الرؤية الغريبة نجمت عن مزاج خاص، وعن تكوين نفسي وصحي قل نظيره[4].

المبحث الثاني

موضوعات الزهد عند أبي العتاهية

لقد أملى العصر العباسي على معظم الشعراء خوض أغراض الشعر لمجاراة الحياة الاجتماعية، ومن بين هذه الاغراض شعر الزهد، وابو العتاهية كشاعر عباسي طرق هذا المجال وابدع فيه. وعند دراستنا لشعر الزهد لدى أبي العتاهية وجدناه يشتمل على الموضوعات الاتية:

أولا: الموت:

فكرة الموت، ذلك المصير المحتوم للانسان – بل لكل حي- كانت أقوى أسلحة أبي العتاهية للتخويف والزجر القاسي حتى للتقاة الراغبين في التطهر من أجل هذا المصير، وهذه الفكرة كان أبو العتاهية يعزف عليها فيزلزل قلوب العصاة والمؤمنين على السواء [5]. فهو يخاطب الانسان الذي نسي الموت ويطلب الخلود في الدنيا قائلاً: لا تثق بالدنيا وبالصحبة فيها، فالموت يأتي ويفرق هذه الجماعة، ثم يأتي له بدليل اخر على الموت، ألا وهو موت الابوين[6]، قال[7]:

أنْساكَ مَحْياكَ المماتا فَطَلَبْتَ في الدُّنيا الثَّباتا
أَوَثِقْتَ بالدُّنيا وَأَنْ تَ تَرى جَماعَتَها شَتاتَا
يامن رأى أَبَوَيهِ فِيِ ما قَدْ رَأَى كَانَا فَماتَا

مجزوء الكامل

تلك النصيحة تسوي بين جميع البشر، فمصيرهم واحد، إلا أن الحياة تنسيهم الموت زوراً وبهتاناً، لقد استعمل الشاعر أبو العتاهية في الأبيات السابقة أسلوب الاستفهام، ليكون الخطاب أشد وقعاً وأثراً في النفس الإلهية عن ذكر الموت، ثم نراه استعمل كاف المخاطب في هذا الحوار مع الإنسان، واستعمل قافية التاء مع ألف الإطلاق لتدلّ على انطلاق الإنسان في هذه

(1) انظر: اسماعيل، عز الدين: في الشعر العباسي، ص289.
(2) الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج4، ص11.
(3) انظر نوفل محمد محمود قاسم: المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص178.
(4) انظر شرارة، عبد اللطيف، ابو العتاهية شاعر الزهد والحب الخائب، ص25.
(5) انظر: شلبي، سعد اسماعيل، البيئة الاندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف، ص505.
(6) انظر: ابو العتاهية اشعاره واخباره، ص74- 75.
(7) ديوان ابي العتاهية، ص53.

الحياة والانفلات فيها، وفي غفلة الناس عن الموت، وهو بينهم يغدو ويروح، لا مفر منه ولو عمّر الإنسان ما عمّر نوح[1]، فيقول[2]:

كُلُّنا في غَفْلةٍ والـ مَوْتُ يَغدو وَيَروحُ
نُحْ على نَفْسِكَ يا مِسْـ كينُ إنْ كَنْتَ تَنوحُ
لتَموتَنَّ وإنْ عُمِّرْتَ ما عُمِّرَ نوحُ

مجزوء الرمل

استعمل ابو العتاهية في هذه الابيات التفعيلات القليلة من بحر مجزور الرمل لتتناسب مع ما يحدث عنه من قصر حياة الانسان مهما طالت، حتى لو بلغت حياة نوح (عليه السلام).

ومما يدل على صدق عاطفته في هذه الابيات هو استخدامه لضمير جمع المتكلمين (نا)، فهو يتكلم عن نفسه أولا، ثم عن غيره، ونراه بعد ذلك يوجه الخطاب لكل انسان يغفل عن الموت ويصفه بالمسكين. لقد اخذ ابا العتاهية فكرة أن الموت آتٍ لا محالة لكل حيّ على وجه الارض، وأن الدنيا دار بلاء وشقاء وعناء، من سره زمن ساءته ازمان، والمغرور فيها من يظن أن القوة والصحة دائمتان، فالمرء عليه أن يغتنم شبابه قبل هرمه[3]، وحياته قبل موته، فمن اراد الثواب فليقل خيراً أو ليصمت، ذكر ابو العتاهية [4]:

أيُّها المغرورُ ما هذا الصَّبا لو نهيت النَّفس عنه لانتهت
رحم الله امرأ أنصف من نفسه إذْ قال خيراً أو سكتْ

(الرمل)

استعمل الشاعر أسلوب الشرط ليؤكد للانسان موته، واستعمل قافية التاء الساكنة لتتناسق مع الوضع، أن الموت قريب من الانسان وكأس الموت لابد لكل إنسان أن يشربه، وقال [5]:

ما أقْربَ الموْتَ مِنّا تتَجاوزَ اللهُ عنَّ
كَأَنَّهُ قَدْ سَقَانَا بِكَأسِهِ حَيْثُ كُنّا

(المجتث)

إن الإنسان يأمل أن يخلد في هذه الدنيا، ولا يدري أن الموت يقطع حبال هذا الامل، ويقف له بالمرصاد، فإذا أمسى حيا فقد لا يعيش إلى الصباح، [6]، وإذا اصبح فقد لا يعيش إلى المساء ذكر في ذلك [7]:

أؤمّك ان أُخلَّد والمنايا يثبن عليَّ من كل النَّواحي
وما ادري إذا امسيت حيّا لعلَّي لا أعيش إلى الصَّباح

يكثر أبو العتاهية في شعره الزهدي من التعابير الدينية، ففي البيتين السابقين كأني بحديث النبي 6 عن عبد الله بن عمر (رضي) قال: أخذ رسول الله 6 بمنكبي فقال: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))[1] وكان ابن عمر يقول: ((إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء...))[2].

(1) انظر: البستاني، بطرس: منتفات أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص29.
(2) ديوان أبي العتاهية، ص67.
(3) انظر ابن عبد ربه، احمد بن محمد: العقد الفريد، ج3، ص138- 139.
(4) ديوان أبي العتاهية ص39.
(5) ديوان أبي العتاهية ص277.
(6) انظر أبو العتاهية: أشعاره واخباره، ص99.
(7) ديوان أبي العتاهية ص67.

وقال أبو العتاهية يصف الموت بأنه رحل [3]، قائلاً[4]:

وما الموت إلا رحله غير أنّه من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

(الطويل)

فاستعمل اداة الحصر ((إلا)) ليحصر الموت بانه رحلة، وليس نهاية المطاف الانسان.

ثانيا: الدنيا

قال تعالى: **﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[5]

فالدنيا متاع زائل وعبث باطل، وتمنّي النفس أماني يفني الانسان عمره في سبيل تحقيقها والشاعر أبو العتاهية يحتقر الحياة الدنيا [6] ويعظم الاخرة فيقول في غرور الدنيا [7]:

نصبت لنادون التفكر يا دنيا أماني يفنى العمر من قبل أن يفنى

حتى تنقضي حاجات من ليس واصلاً إلى حاجة حتى تكون له أخرى

(الطويل)

فالشاعر عمد إلى التشخيص فجعل من الدنيا شخصيا ينصب شباكا ليصطاد بها، فهذه الشباك وراءها سجن وقيد، وكان الدنيا تنصب للإنسان حبال الاماني ليقع في شركها فالأبيات قريبة من النثر تخلو من الموسيقى واعتمدت البحر الطويل، لتعطي النفس الانسانية نفسية في التأمل والتفكير في هذه الدنيا الفانية. قال الاصمعي:

حبال الاماني ليقع في شركها فالأدبيات قريبة من النثر تخلو من الموسيقى واعتمدت البحر الطويل، لتعطي النفس الانسانية نفسية في التأمل والتفكير في هذه الدنيا. قال الأصمعي: صنع الرشيد طعاما وزخرف مجالسه واحضر ابا العتاهية وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا [8] فقال ابو العتاهية [9]:

عش ما بدا لك سالماً في ظلّ شاهقة القصور

(مجزوء الكامل)

فقال الرشيد: أحسنت، ثم ماذا؟ فقال [10]:

يُسْعى عَلَيْكَ بِما اشْتَهيتَ لَدى الرَّواحِ أو البُكورِ

فقال: حسن، ثم ماذا؟ فقال [11]:

فإذا النفوس تقعقعت في ظل حشرجة الصدور

(مجزوء الكامل)

---

(1) البخاري، الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم: صحيح البخاري، ج7، ص34.
(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج3، ص138.
(3) انظر: شافي، يحيى: اروع ما قيل في الشعر العربي، ص101.
(4) ديوان أبي العتاهية ص174.
(5) سورة العنكبوت، الآية 64.
(6) انظر: ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص6.
(7) ديوان ابو العتاهية ص3.
(8) انظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره ص136.
(9) ديوان ابو العتاهية ص92.
(10) المصدر نفسه، ص92.
(11) المصدر نفسه ص92.

فبكى الرشيد، فقال الفضل بن يحيى البرمكي: بعث اليك امير المؤمنين لتسره فاحزنته، فقال الرشيد: دعه، فإنه رآنا في عمى، فكره أن يزيدنا منه. (1)

ثالثا: الوعظ والنصح:

كان أبو العتاهية متعدد الجوانب، موزّع النشاط، ومفتاح تلك الشخصية المعقدة شعوره بالنقص بسبب منبته المتواضع، وقد دفعه ذلك الشعور في اتجاهين رئيسين: دفعه إلى مهاجمة الطبقات في المجتمع، وصار بذلك من الثوار والمتردين، ثم دفعه إلى أن يلبس مسوح الوعظ والمتصوفين، لكي يتلقي معهم تكريم العامة واحترامهم، وصار بذلك من دعائم الاستقرار وحماة الاداب والتقاليد. والقارئ لشعر أبي العتاهية يرى فيه قدرا كبيرا من الوعظ الخالص، ومنه قوله (2):

أنلهوا وأيَّامنا تذهب ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ
عجبت لذي لعبٍ قدلها عجبتُ ومالي لا أعجبُ
أسلهوا ويلعب من نفسه تموُت ومنزله يخربُ
ترى كلَّ ماساءنا دائماً على كلّ ما سرَّنا يغلبُ
(المتقارب)

استهل الشاعر هذه الابيات بالاستفهام الذي يحمل في طياته الاستغراب والتعجب ممن يلهو ويلعب في هذه الدنيا وهو يعلم أنه سيموت وأن منزله الذي يعمره سيخرب، ويعلم كذلك أن الاحزان في هذه الدنيا اكثر من السرور، فنصيحته في هذه الابيات هو عدم اللعب واللهو، فهو يقدم هذه النصيحة مغلفة بالخوف والزهد، الخوف من الموت والزهد في الدنيا.

لقد وصل الامر بالشاعر أبي العتاهية أن يقدم النصح والوعظ حتى للخلفاء والحكام، وهاهو يعظ الرشيد(3)، بقوله(4):

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس وأن تمنعت بالحجاب والحرس
فما تزال سهام الموت نافذة في جنب مدَّرع منها ومتَّرس
(البسيط)

فلما سمعها الرشيد تقبلها، وبكى حتى بل كمه.

لقد بدأ الشاعر أبياته بالحديث عن الموت، وأنه لا يؤمن جانبه، حتى ولو كان في حصن حصين لنفسه وبيته. وابو العتاهية في زهدياته يتحول إلى واعظ(5)، وهو يستمد عظاته من القران الكريم والحديث النبوي الشريف، ووعظ الوعاظ من امثال الحسن البصري، كما يستمد من أشعار سابقيه، وقد وقف المبرد عند موعظة له يستهلها بقوله (6):

يا عجباً كلُّنا يحيد عن الـ حين وكلَّ لحينه لاق
كأنَّ حياً قد قام نادبه والتفتَّت السَّاقُ منه بالسَّاق
(السريع)

أبو العتاهية يبدأ هذه المقطوعة بالتعجب كعادته من الانسان، الذي يحاول تجنب الاجل وهو لابد ملاقيه، والشطر الثاني من البيت الثاني فيه تناص من القران الكريم، قال تعالى: ﴿**وَالْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ**﴾(7) والتفاف الساق بالساق كناية عن فقدانهما للحركة.

(1) انظر الكنراوي: محمد بن عبد العزيز: تاريخ الشعر العربي في العصرين الاول والثاني من خلافة بني العباس، ج2، ص128.
(2) ديوان ابي العتاهية ص27.
(3) انظر: الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني: ج3، ص180.
(4) ديوان أبي العتاهية ص133.
(5) انظر: ضيف، شوقي: تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الاول، ص250.
(6) ديوان أبي العتاهية ص170.
(7) سورة القيامة، الاية 29.

رابعا: ذم حياة الملوك:

إن منيت أبي العتاهية المتواضع، جعله يهاجم الطبقات العليا كالملوك والخلفاء وذوي المكانة والجاه وأصحاب المال[1]، فيقول في ذلك[2]:

وكم من عظيم الشأن في قعر حفرةٍ تلحَّف فيها بالثرى وتسربلا

(الطويل)

لقد بدأ أبو العتاهية باستعمال ((كم)) الخبرية التي تفيد التكثير، أي أن هناك كثيرا من أصحاب الجاه والسلطان، عندما وضعوا في حفرة القبر، لم ينزل معهم من حطام الدنيا شيء، فأصبح التراب هو لباسهم وفراشهم، وهذا المعنى المستمد من قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[3]. وقد تأثر المعتصم عند سماع شعره فلما احس بالموت قال لابنه الواثق: ذهب والله أبوك يا هرون، لله در أبي العتاهية [4]، حيث قال[5]:

الموت بين الخلق مشتركٌ لا سوقةٌ يبقى ولا ملكُ

(السريع)

في هذا البيت جعل المعتصم يشعر بالخوف من الموت لأنه لم يفرق بين الملك وعامة الناس، وأحس المعتصم أن هذا العرش والملك الذي يتربع عليه سوف يزول.

خامسا: الحكم والامثال:

إذا ما ذكر الزهد ذكرت معه الحكمة التي جاءت في تضاعيف الشعر العربي الغنائي مستقلة حينا وغير مستقلة حينا آخر.

وفي هذا الشعر الحكمي يعبر الشاعر عن تجربته الشخصية والاجتماعية أو التاريخية والدينية، وهو شعر يتضمن أسمى القيم التي ترضي العقل والخلق والدين[6]، حيث يقول أبو العتاهية [7]:

كم غافل عن حياض الموت في لعب يمسي ويصبح ركابا لما هَويا

(البسيط)

ومن الشعر المستمد من الواقع، وهو يدخل في صميم الشعر الحكمي [8] ما قاله أبو العتاهية [9]:

لا تسألنَّ المرء ذات يديه [10] فليحقرنّك من رغبت إليه
المرء ما لم ترزه [11] لك مكرمٌ فإذا رزأت المرء هنت عليه

(الكامل)

(1) انظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص305.
(2) ديوان ابي العتاهية ص212.
(3) سورة الانعام، الاية 94.
(4) انظر: الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج3، ص175.
(5) ديوان ابي العتاهية ص186.
(6) انظر ابو العتاهية، اشعاره واخباره، ص433.
(7) ديوان أبي العتاهية: ص299.
(8) انظر: المبرد: الكامل، ج3، ص699.
(9) ديوان أبي العتاهية ص227.
(10) ذات يديه: ما في يديه من مال وغير، انظر: المعجم الوسيط، مادة ذات ص331.
(11) ترزه: تصليبه مصيبة. انظر: المعجم الوسيط مادة ترز، ص365.

فأبو العتاهية يدعو في هذين البيتين الى الزهد لما في أيدي الناس، انسجاماً مع حديث الرسول 6: ((ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في ايدي الناس يحبوك))[1]. فيبدأ الحكمة بالنهي فيما في أيدي الناس من مال ومتاع وغلا فيحتقره الناس، ثم أن يتجنب أن يسبب للناس ما يضرهم، لأن ذلك يسبب له الهوان والذل عندهم.

ولأبي العتاهية مكانة عالية في الحكم، فهو يعقد جوامع الحكمة في أبيات شعرية جميلة [2]، من ذلك قوله[3]:

أجلّك قومٌ حين صرت إلى الغنى وكلُّ غنّي في العيون جليل
وليس الغنى إلا غنى زيَّن الفتَّى غشيَّة يقري أو غداة ينيلُ
(الطويل)

حكمة جامعة بالغة، فالناس اليوم يجلون ويحترمون الغنّي مالا، أما الفقير فلا مكانة له ولا احترام، والغنى الذي يزين صاحبه، هو حين يكرم الضيف ويتصدق على الاخرين.

ونرى أبا العتاهية يذيع حكماً وأمثالاً كثيرة مقتبساً لها من الاداب الفارسية، ومما يروي عن حكماء العرب مثل لقمان، وأفرد لها قصيدته ذات أمثال، التي يقال إنها انتدت الى اربعة الاف بيت [4].

الفصل الثالث

الخصائص الفنية

أولا: اللغة

((فاق ابو العتاهية ادباء عصره بتميزه، بخصائص ينفرد بها بين طبقة الشعراء المحدثين، فالمسائل التي تناولها الادباء والنقاد له في عصره تدور حول سهولة كلامه، حيث برئ من الخشونة والنقص، وأنه مجدد في أوزان العروض، وأنه شاعر الطبع والرقة، وأنه يتناول اشعاره من كمه لأنه قريب المأخذ، وهو شاعر البديهة والارتجال، والمعنى يجتمع لديه من دون أن يكلف نفسه الدوران حوله، وشعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب))[5]

1- أسلوب القصيدة:

موضوع الزهد عند أبي العتاهية جعله ينحدر بشعره إلى مستوى العامة، يحدثهم بالأسلوب الذي يفهمونه ويستعمل فيه الالفاظ والصور التي يألفونها، وهذا يجعل الموضوع وسيلة لتحديد الاسلوب، وقد حرص ابو العتاهية على ان يقترب في لغته من لغة الحياة اليومية، لكي يعبر عن تلك القيم الدينية التي دعا إليها في شعره الزهدي.

فاغتربت أشعاره من الصياغة النثرية، وهي قريبة الشبه في أسلوبها بالخطبة الوعظية، انطبعت اشعاره بالسهولة والوضوح والبعد عن التعقيد.

أما فيما يتعلق بالمحسنات البديهة فهي محدودة في شعر أبي العتاهية باستثناء بعض المقابلات اللفظية والتي تأتي عفو الخاطر[6]، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تأكيد الفكرة عن طريق المقابلة كما في قوله[7]:

أمنت الزَّمان والزّمان خؤون له حركات بالبلى وسكون
(الطويل)

(1) ابن ماجة، الحافظ ابو عبد الله بن يزيد القزويني: سنن أبن ماجة، ج2، ص1373.
(2) انظر: شامي، يحيى: اروع ما قيل في الشعر العربي، ج1، ص9.
(3) ديوان أبي العتاهية: ص221.
(4) انظر: شامي، يحيى: اروع ما قيل في الشعر العربي، ج1، ص9.
(5) ابو الانوار، محمد: الشعر العباسي، تطوره وقيمه الفنية، 276.
(6) ينظر: أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص378.
(7) ديوان ابو العتاهية ص265.

وقد اكثر في شعره من الاسلوب الانشائي مراوحاً فيه بين الاستفهام والنداء والتعجب والامر [1]، حيث قال[2]:

هل عند أهل القبور من خبرٍ هيهات ما من عينٍ ولا أثر
ما اقطع الموت للصَّديق وما أقرب صفو الدَّنيا من الكدر
يا صاحب التَّيه منذ مرَّبه السُّلطان هذا من قلَّة الفكر
ما أقدر الله أن يغيَّر ما أصبحت فيه فكن على حذر
واعلم بأن الايام يلعبن بالمرء وأنَّ الزّمان ذو عبر

(المنسرح)

وقد اعتمد في قصائده اسلوب التكرار، لأن الواعظ بطبعه ملحّ على إيصال فكرته وتوضيحها، ولأن شعر الزهد يقصد به جماهير الناس بعامة، ولم يكن يقصد به الخلفاء والأمراء واثرياء القوم. ((فالزهد فن شعبي بصفة أساسية، يصنع للقطاعات العريضة من ضعاف ومتوسطي الحال بلسما لمعاناتهم وضيق أموالهم))[3].

وهذا واضح في قوله [4]:

هي الاجال والاقدار تجري بقدر الدَّر تحتلب الضُّروع
هي الاعراق بالاخلاق تمني بقدر اصولها تزكو الفروع
هي الايام تحصد كلَّ زرع ليوم حصادها زُرِع الزُّروع

(الوافر)

فقد لجأ إلى تكرار كلمة واحدة ((هي)) في القصيدة استثارة للقارئ كي يستهويه هذا التكرار ويواصل تدبره للمعاني الواردة فيها [5].

2- الطباق:

الطباق: هو ((الجمع بين الشيء ومقابله، أو الشيء وضده، وقد يكون الشيئان المجموع بينهما اسمين أو فعلين أو حرفين))[6]

وكثيراً ما يلجأ الشاعر إلى التضاد بوصفه نشاطا لا شعوريا يعكس به واقعه ونفسيته المضطربة القلقة، فيعبر عن عالم الثنائيات والمتناقضات الذي يعيشه الشاعر [7]، والطباق يستعمل بكثرة في اشعار أبي العتاهية، ومن الامثلة على ذلك قوله [8]:

أنساك محياك المماتا فطلبت في الدنيا الثَّباتا

فهو يستعمل الطباق في كلمتي ((محياك، مماتا)) لتخويف الانسان وزجره ولكي يزلزل قلوب العصاة، فالموت هو المصير المحتوم للانسان.

ولكي يثير الخوف اكثر يؤكد على معنى الموت، وأن الانسان إذا امسى فقد لا ينتظر الصباح [1]، قال في ذلك[2]:

(1) انظر ابو العتاهية: أشعاره وأخباره ص167- 168.
(2) ديوان ابي العتاهية ص114.
(3) إسماعيل، عز الدين: في الشعر العباسي، الرؤية والفن، ص439.
(4) ديوان ابو العتاهية ص135- 154.
(5) انظر: ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص222.
(6) عباس، فضل حسن: البلاغة: فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، ص275.
(7) انظر: ابو العتاهية: أشعاره واخباره، ص74.
(8) ديوان ابي العتاهية، ص53.

وما ادري إذا امسيت حيًّا لعلّي لا أعيشُ إلى الصَّباح

(الوافر)

فهو يستعمل الطباق بين كلمة ((أمسيت، الصباح)) فجاء بالطباق هنا لتقوية الفكرة والمعنى بشأن الموت، وجعلها أكثر توضيحا ودلالة، واشد قرعا للاذان والقلوب. لقد يستعمل ابو العتاهية الطباق في جميع أغراض الزهد لديه، فنراه حتى في حكمه وامثاله يستعمل ذلك، ومن الحكمة البالغة في وجوب الصمت والكلام في حينه[3]، قوله[4]:

والصَّمت اجمل بالفتى من منطق في غير حينه

(مجزوء الكامل)

فاستعمل الطباق بين كلمتي ((الصمت، المنطق)) ليتناسب مع معنى الحكمة، وهي أن الصمت أفضل من الكلام في غير وقته.

3- الترادف:

الترادف: ((هو أن يكون للمعنى الواحد اكثر من لفظ يعبر به عنه، كالسيف والحسام والصيقل، ويرى بعض العلماء أن لا ترادف في العربية، بل للمعنى لفظ واحد، والباقي صفات له جرت مجراه لكثرة الاستعمال، غير ان الترادف موجود فعلا، يفسره في أغلب الظن تداخل اللهجات العربية، فبعض القبائل تسمي الاشياء نفسها باسماء أخرى، وتداخلت اللهجات، وكثرت مرادفات المعنى الواحد، ويحصل عكس هذا في اللغة العربية عندما يكون للفظة الواحدة معنيان أو اكثر كالعين، التي هي نبع الماء، وهي عين الانسان يرى بها))[5]. وقد زخر شعر ابي العتاهية بالترادف[6]، من ذلك قول أبي العتاهية[7]:

وإنَّك يا زمان لذو صروفٍ وإنَّك يا زمان لذو انقلاب

فاستعمل الترادف في ((صروف، انقلاب)) فالكلمتان تحملان المعنى نفسه، وهو بذلك يؤكد المعنى، أي ان هذا الزمن لا يثبت على الحال وأن هذه الدنيا زائلة لا محالة، ومما يؤكد ذلك أيضاً هو استعمل اداة التوكيد ثم التكرار في صدر البيت وعجزه[8].

وقال ابو العتاهية في أهل القبور[9]:

أهل القبور اصبتي بعد الجذالة والسرور

بعد الغضارة والنضا رة والتنعم والحبور

(مجزوء الكامل)

فالكلمات المترادفة ((الجذالة والسرور)) بنفس المعنى، وكذلك ((الغضارة والنضارة)) والتنعم والحبور تحمل معنى واحدا.

(1) انظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص99.
(2) ديوان ابو العتاهية، ص67.
(3) انظر: ابو العتاهية: أشعاره واخباره، ص403.
(4) ديوان ابو العتاهية، ص282.
(5) وامني، علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص172- 175.
(6) انظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص33.
(7) ديوان ابو العتاهية: ص24.
(8) انظر: ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص142.
(9) ديوان ابو العتاهية ص87.

فاستعمل الشاعر هذه الكلمات المترادفة ليبين للناس حال أهل القبور وهم تحت الثرى والتراب. وكيف كانوا في الدنيا فرحين مسرورين، فيريد من هذا الحشد من الترادف، التأثير في نفوس الناس الذين جهلوا هذا المصير وهذا المكان المظلم.

ثانيا: الصورة الفنية:

الصورة الفنية هي الوسيط الأساس الذي يستكشف به الشاعر تجربته ويتفهمها، كي يمنحها المعنى والنظام، والشاعر يتوسد بالصورة الفنية، ليعبر بها عن حالات لا يمكن أن يتفهمها أو يجسدها من دون الصورة. والانواع البلاغية للصورة الفنية عديدة ومتنوعة: كالتشبيه والاستعارة والكناية.

1- التشبيه: ((هو عقد مقارنة تجمع بين طرفين، لا تحادهما او اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والاحوال، هذه العلاقة قد تستند إلى مشاعر حسية، وقد تستتند الى مشابهة في الحكم...، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة))[1].

وقد اكثر ابو العتاهية في شعره من التشبيه، وخاصة في تصويره للدنيا والموت فمن ذلك [2].

أ- التشبيه المفرد: ((وهو ما يكون فيه الوصف المشترك محققا في شيء واحد، ويكثر في صورة المضاف والمضاف إليه، وهو ما يسمى بالبليغ، حيث تحذف فيه أداة التشبيه وتحذف فيه وجه الشبه، ولا يتضمن إلا الطرفين فقط، المشبه والمشبه به))[3].

قال ابو العتاهية [4]:

النَّاس في غفلاتهم ورحى المنيَّة تطحنُ

(مجزوء الكامل)

وهو هنا يشبه المنية بالرحى، فالمعنى مشترك بين المشبه والمشبه به، فكلاهما يحملان مدلول القتل والطحن، وهذا يعكس صورة نفسية لدى الشاعر، وهي أن الموت ياخذ من البشر الكثير وهم غافلون عن ذلك، ولكن الموت لا يغفل، فالموت في ذهن الشاعر كالرحى التي تدور دائماً من دون توقف. فمن وقع تحت هذه الرحى فإنها تقتله وتطحنه، ومن كان بعيداً فهو ينجو من ذلك الموت[5].

وقال أيضاً[6]:

هو الموت فاصنع كلَّما أنت صانع وانت لكاس الموت لابدَّ جارعُ

(الطويل)

فأبو العتاهية هنا يشبه الموت بكأس، وكل الناس سوف يشرب من هذا الكأس، فهو يخوف الاغنياء ويهاجمهم بعنف، وأنهم يتجرعون الموت، ومهما صنعوا في هذه الدنيا فلابد لهم من هذا المصير[7].

نلاحظ أن أبا العتاهية قد اكثر من التشبيهات المفردة، وذلك لأن موضوع الزهد يخاطب به الشعراء العامة من الناس، فهي أقرب للفهم واسهل في معرفة المغزى منها.

ب- التشبيه التمثيلي: ورد التشبيه التمثيلي بكثرة في أشعار ابي العتاهية، ففي موضوع الدنيا والموت والبعث والحساب، لابد من مقارنة أحوال الناس ونظراتهم إلى الدنيا وموقفهم من الموت. فيقول ابو العتاهية [1]:

(1) الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، ص88.
(2) ابو موسى، محمد: التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص26.
(3) عطية، مختار: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دراسة بلاغية، ص32.
(4) ديوان ابو العتاهية ص253.
(5) انظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص381.
(6) ديوان ابو العتاهية: ص149.
(7) انظر: ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص216.

كأنَّك قَد هجمت علي مشيبي كما هجم المشيب على شبابي

(الوافر)

فهو يصور هجوم الموت عليه عند كبر سنه هجوم الشيب على شبابه، وفي هذا تشخيص للموت والمشيب عندما يهاجمان الانسان، فإنه لا يستطيع الافلات ولا التأخير [2]. ويقول ابو العتاهية في وعظ الرشيد[3]:

ترجو النَّجاة ولم تسلك مسالكها إنَّ السَّفينة لا تجري على اليبس

(البسيط)

قال أبو العتاهية هذا البيت في وعظ الرشيد، فهو يصور حال الانسان الذي يريد أن ينجو من الهلاك بعد الموت، ولم يستعد له بحال، من يجهز السفينة كي ينجو بها من الغرق ولا يوجد مكان لاستعمالها، ألا وهو البحر، فالسفينة هنا لا تفيد شيئاً ولا تفيد في النجاة، فهو في هذه الصورة يحذر الانسان من عدم الاستعداد للاخرة.

والخليفة يحتاج إلى هذه الصورة العظيمة التي تعد مثلا وحكمة تقال في عدة مناسبات إلى يومنا هذا. فالتشبيه ضمني، لأن المشبه وهو عدم تحقيق الغاية التي يريدها المرء إذا لم يسلك الوسائل المؤدية إليها، والمشبه به هو إخفاق من يريد تسيير السفينة على الأرض، فمن اراد تحقيق هذه الغاية عليه أن يسيرها في البحر. وأن التشبيه الضمني قد ندر في أشعار أبي العتاهية لأنه يحتاج إلى عرض صورة مركبة بصورة أخرى.

2- الاستعارة: ويعرف السكاكي الاستعارة بـ: ((أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الاخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك فإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به))[4]. ((وهي تنقسم على قسمين: تصريحية ومكنية، والمراد بالأول: هو أن يكون الطرف الاول المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه))[5]. وسميت تصريحية، لأنك صرحت بالمشبه به، أي ذكرته بلفظة الصريح، والاستعارة المكنية في عرف البلاغيين القدماء، وهي استعارة حذف منها المشبه به أو المستعار منه، وبقي في الحياة شيء يدل عليه، أو يشير إليه، أو من لوازمه[6] يقول أبو العتاهية[7]:

إنَّ الأصول الطّيِّبا ت لها فروعٌ زاكيه

(مجزوء الكامل)

والشاعر في هذا البيت ينصح الامام والخليفة، عندما رأى غلاء الاسعار، والفقراء يشكون ذلك يريدون عطاء الامير أن يشملهم فهو يشبه الامام بالفرع الزاكي الطيب أخذ من أصل طيب، فذكر المشبه به وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية فذكر المشبه وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية[8]. نلاحظ من خلال الدراسة شعر أبو العتاهية كثرة الاستعارات المكنية لدى أبي العتاهية وقلة الاستعارات التصريحية، وذلك لأن موضوعات الزهد وأحوال الناس فيها واقعية ومشاهدة. وقال ابو العتاهية [9]:

كلنا في غفلة والـ مجزوء يغدو ويروح

(مجزوء الكامل)

---

(1) ديوان ابو العتاهية، ص23.
(2) انظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص33.
(3) ديوان ابو العتاهية، ص194.
(4) السكاكي، ابو يعقوب، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم، ص369.
(5) المصدر نفسه، ص373.
(6) السكاكي: مفتاح العلوم ص373- 378.
(7) ديوان أبي العتاهية، ص304.
(8) انظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص98.
(9) ديوان ابي العتاهية: ص66.

فالشاعر يشبه الموت بالانسان الذي يذهب ويروح، ويحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية، ويؤكد غفلة الناس عن الموت وهم يشاهدونه يختطف الناس، وهكذا ولكن من دون اعتبار.

3- الكناية: تعني ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة...))[1] ويكثر ابو العتاهية في اشعاره من استعمال الكناية، ونراه في حكمة يصور تشابه الناس كأنهم صنعوا في قالب واحد، فيقول[2]:

حتَّى كأنَّ النَّاس كلَّهم قد افرغوا في قالب واحد

(الكامل)

فالكناية في البيت هي افرغوا في قالب واحد فهو يصور عدم ذكر الناس لبعضهم بالثناء والمديح، وتساويهم في هذه الصفة، وكأنهم صبوا في قالب واحد، فالكناية هنا كناية عن صفة [3]. ولكثرة الكنايات في شعر أبي العتاهية فنراه يقول مكنيا عن صفة كراهية الدنيا وداعيا إلى النزاهة والكفاف فيقول [4]:

تبلغ من الدنيا ونل من كفافها ولا تعتقدها في ضمير ولايد

(طويل)

فالكناية في ((ولا تعتقدها في ضمير ولايد)) كناية عن إخراج الدنيا من قلبه ويده، وعدم الاكتراث لها وكراهيتها، والنزاهة فيهما، فهي دار مرور وعبور، وتزود للاخرة، فالكناية تتناسب مع موضوع الزهد في الدنيا فهي كناية عن صفة[5].

ثالثا: الموسيقى:

أ- الجناس:

((وتظهر موسيقى الشعر بالجناس الذي يقوم على اساس التشابه بين اللفظتين في الإيقاع مع اختلافهما في المدلول، فإن اتفق اللفظان في أنواع الحروف، واعدادها، وهيئتها الحاصلة في الحركات والسكنات، وترتيبها، كان الجناس تاما، وأن اختلفت الحركات في واحد مما ذكر كان الجناس ناقصاً))[6]. وقول أبي العتاهية عن حال القرون الاولى [7]:

صاروا حديثاً بعدهم أنَّ الحديث لذو شجون

(مجزوء الكامل)

فيجانس الشاعر بين لفظة ((حديث)) بمعنى مثلا يتناقله الناس فيما بينهم، ولفظة ((الحديث)) بمعنى الكلام. فكلا اللفظين يحمل معنى وارتباطا في نفس الشاعر، فالامم السابقة أصبحت مثلا متداولاً بين الناس كالاغصان المتفرقة [8]. وقوله في الانسان بعد موته وحاله في القبر وحال أهله من بعده[9]:

القوم بعدك في حال تسرُّهم فكيف بعدهم دارت بك الحال

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، ص402.
(2) ديوان ابو العتاهية، ص73.
(3) ينظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص107.
(4) ديوان ابو العتاهية: ص80.
(5) ينظر: ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص116.
(6) مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، باب الجيم، ص138.
(7) ديوان ابي العتاهية: ص254.
(8) انظر ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص364.
(9) ديوان ابي العتاهية، ص217.

فالشاعر يجانس بين لفظة ((حال بمعنى هيئة وشكل، ولفظة ((الحال)) بمعنى الظروف والزمان. فإحساس الشاعر باللفظين يتساوى؛ لأن كلا منهما يدل على الاحوال والظروف والهيئات والشكل.

ب- الوزن الشعري:

((إن النزعة الخطابية ظلت تفرض نفسها على الشعر في العصر العباسي، فإذا بالشاعر حريص على بناء إيقاعات مجلجلة تشير من وقت غلى آخر إلى وقفات عالية النبرة، وكل هذا لكي يحدث التأثر الافاذ للجمهور... ومن الاوزان المطولة كالبحر البسيط والطويل والكامل))[1]. ونلاحظ من خلال أشعار أبي العتاهية الزهدية اهتمامه بالبحور الطويلة، إلا انه عندما أصبح كبيرا في السن، استعمل البحور الخفيفة، فنراه في مرضه الذي مات فيه قال مقطوعة على البحر مجزوء الخفيف[2]، فيقول[3]:

إذن حيَّ تسمَّعي اسمعي ثمَّ وعي وعي

((فالشاعر يختار البحور التي تلائم صوته قوة وضعفا، فالشاعر الطاعن في السن والشاعر ضعيف الجسم، يعجز أن ينشد شعراً من البحور الطويلة، حتى ليحتاج المنشد لها أن يلتقط أنفاسه عقب كل بيت))[4].

أما الاشعار التي انشدها أبو العتاهية في ريعان شبابه فاختار لها البحور الطويلة التي تلائم صوته وجسمه. فقصائده التي قالها في الحكم والوعظ والنصح جاءت على البحور الطويلة، كالطويل والكامل والبسيط. قال محمد بن أبي العتاهية ((سئل أبي هل تعرف العروض؟ فقال: أنا اكبر من العروض، وله اوزان لا تدخل في العروض))[5]. ومن نماذج خروجه على العروض قوله[6]:

عتب ما للخيال خبريني ومالي

لا اراه اتاني زائراً مذليالي

فوزن البيت الاول – فاعلن فاعلات– مرتين، وكذلك البيت الثاني، وهو عكس وزن المديد. والوزنان جميعا من الاوزان المهملة التي استعملها ابو العتاهية وغيره من الشعراء العباسيين، وكأنهم احسوا نقص أنغامها وايقاعاتها بالقياس إلى الاوزان المستعملة[7].

ت- القافية[8]:

حظيت القافية باهتمام الشعراء والنقاد، وهي بمثابة السجع في النثر، فهي قوام الشعر وملاكه، وهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية، ويعد حرف الروي[9] ابرز حروف القافية وأهمها. وكان أبو

(1) إسماعيل، عز الدين: في الشعر العباسي، الرؤية والفن، ص438- 439.
(2) ينظر: ابو العتاهية: أشعاره واخباره، ص231.
(3) ديوان أبي العتاهية، ص160.
(4) الجندي، علي: الشعراء وانشاد الشعر، ص100.
(5) الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني، ج3، ص131.
(6) ديوان ابي العتاهية، ص195.
(7) انظر: ضيف، شوقي: تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الاول ص253.
(8) القافية على رأي الخليل بن احمد هي اخر ساكنين في البيت وما بينهما، والمتحرك قبل اولهما، وعند الاخفش: اخر كلمة في البيت، انظر: مجدي، وهبله: معجم مصطلحات العربية في اللغة والادب، باب القاف، ص282. القافية: هي الحروف والحركات التي على الشاعر أن يستلزمها في اخر كل بيت من أبيات القصيدة الواحدة، وتقوم على حرف يسمى الروي، يسبقه أو يلحق به أحرف وحركات ثابتة- انظر سمعان، سعيد: الجديد في البيان والعروض، ص268.
(9) الروي هو احد احرف القافية الذي تبنى عليه القصيدة، ويتكرر بتكرر ابياتها، وتنسب عليه مادة. انظر: مجدي، وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، باب الراء، ص190.

العتاهية يلتزم احياناً في شعره حرفا قبل حرف الروي الاخير، وهو ما يعرف بلزوم ما لا يلزم، ولكنه ما كان يتعمد ذلك، بل كان حسه الموسيقي يهدية إليه[1]، فنراه يقول[2]:

كلُّ إلى الرَّحمن منقَلبه والخلق ملا ينقضي عجبه
سبحان من جلَّ اسمه وعلا ودنا ووارت عينه حجبه
(الكامل)

وقد جاءت حروف الروي في أشعار ابي العتاهية الزهدية في ثمانية عشر حرف روي، وهي على الترتيب: الهاء، النون، الراء، الباء، الدال، الكاف، العين، اللام، التاء، الحاء، القافن الفاء، الضاد، الميم، الطاء، الالف، الياء.

وقد وردت القافية المقيدة في أشعار أبي العتاهية قليلة جداً [3]، فيقول في الموت [4]:

من يعش يكبر ومن يكبر يمت والمنايا لا تبالي من أتت
(الرمل)

وإذا اشترط النقاد في القافية المقيدة أن تعتمد على مد قبل الحرف الروي، فإن عامة البحور القصار يصلح فيها التقييد من غير اعتماد على مد قبله [5].

فشعر الزهد هو الغرض المناسب للقافية المقيدة، إلا انها كثرت في البحور القصيرة والمجزوءة. ومن حروف الروي الضعيفة في أشعار أبي العتاهية وردت قافية الطاء [6]، فقال في ذم جمع المال [7]:

أتجمع مالاً لا تقدَّم بعضه لنفسك ذخراً إنَّ ذا السقوط
(الطويل)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وبعد:

بعد كتابتي لهذا البحث عرفت معرفة تامة أن موضوع الزهد يحتاجه كل إنسان في هذه الحياة، كي يفهمه ويتعامل معه بايجابيه، لأنه الموضوع اسلامي النشأة، وقد علمنا القران الكريم الزهد في هذه الحياة، التي هي متاع الغرور وعلمنا الرسول الكريم محمد 6 وأهل بيته النظر إلى هذه الدنيا بأنها ظل زائل، ودار لا تدوم على مال. وقد تبين لي من خلال البحث ما يأتي:

- إن الزهد قد نشأ نشأة إسلامية خالصة مستمداً أصوله من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة قولاً وعملاً، وهذا هو الزهد الايجابي الذي لا يعني الانقطاع عن الدنيا وعن الناس وانتقلت هذه الظاهرة إلى الناس من علماء الدين.
- كانت الاحوال السياسية والاجتماعية من الاسباب التي عملت على تقوية النزعة الزهدية في المجتمع عند أبي العتاهية، حيث كان المجتمع يموج بألوان من المتناقضات، فالثراء والمجون يقابله البؤس والحرمان، ثم الصراعات السياسية وغيرها.
- تعددت موضوعات شعر الزهد وتنوعت، حيث كان موضوع الموت أكثرها اهتماماً عند الشعراء وأن سلاح الموت هو اقوى سلاح استخدمه الشاعر في شعره للتخويف والزجر.

(1) انظرك ابو العتاهية: أشعاره واخباره، ص49.
(2) ديوان ابو العتاهية، ص34.
(3) انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج3، ص138.
(4) ديوان ابو العتاهية، ص39.
(5) انظر: الطيب، عبد الله: المرشد إلى فهم اشعار العرب، ج1، ص43.
(6) انظر: ابو العتاهية: اشعاره واخباره، ص206.
(7) ديوان ابو العتاهية، ص141.

- الحكمة والزهد متلازمان فأينما ذكر الزهد ذكرت الحكمة لأن الشاعر يعبر فيها عن تجربته الشخصية والاجتماعية والتاريخية والدينية.
- أن لغة الزهد سهلة واضحة بعيدة عن التكلف وقد تصل إلى حد الابتذال والاقتراب من لغة العامة.
- برزت بعض الخصائص الفنية المشتركة لهذا الشعر فهو في أغلبه شعر مقطوعات تحث على الزهد والفاظه جاءت سهلة بسيطة في تراكيبها، مع استخدام اساليب النداء والاستفهام والتعجب والتكرار؛ لتكون هذه المقطوعات اكثر تأثيراً واسرع حفظاً، حيث يتناقلها الوعاظ والقصاص والناس جميعاً على اختلاف فئاتهم.

تم بعون الله والحمد لله رب العالمين

المصادر:

-القرآن الكريم

1- الاعلام: لخير الدين الزركلي، ج1، 1980، دار العلم للملايين – بيروت.
2- الاغاني: لابو الفرج الاصفهاني، شرحه وكتب هوامشه: س‌مير جابر، ج4، دار الفكر، بيروت، 1970م.
3- ابو العتاهية، اشعاره واخباره، تح: شكري فيصل ن مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر.
4- ابو العتاهية: شاعر الزهد والحب الخائب: لعبد اللطيف شرارة، ط1، نيسان، ((ابريل)) 1962.
5- اروع ما قيل في الشعر العربي: يحيى، شافي، ج1، دار الفكر العربي- بيروت.
6- اسرار البلاغة: لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ. رينز، دار المسيرة، 1983م.
7- امراء الشعر في العصر العباسي" انيس المقدسي، دار العلم للملايين، ط19، 1994م.
8- البداية والنهاية: ابن كثير، ت774هـ، ج1.
9- البلاغة فنونها وافنانها: علم البيان والبديع: فضل حسن عباس، ط3، دار الفرقان، 1998م.
10- البيئة الاندلسية وأثرها في الشعر عصر الملوك الطوائف: سعد اسماعيل، شلبي، دار النهضة، القاهرة، 1978.
11- تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الاول: شوقي ضيف، ط1، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1989م.
12- تاريخ بغداد الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، ج6. دار الكتب العلمية، بيروت.
13- تاريخ الشعر في العصر العباسي: يوسف خليف، دار الثقافة في القاهرة للطباعة والنشر، 1981م.
14- الجامع الصغير في احاديث البشير النذير: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، ت911هـ، ج1، دار الفكر- بيروت، ط1- 1401هـ.
15- الجديد في البيان والعروض: سعيد، سمعان، مكتبة لبنان- بيروت، 1969م.
16- دراسة تحليلية، سلسلة القصص القراني (سورة يوسف: احمد نوفل، دار الفرقان – عمان، 1989م.
17- ديوان ابي العتاهية، دار التراث- بيروت، 1969م.
18- ديوان العبادي، عدي بن يزيد، حققه وجعمه: محمد جبار المعيب، وزارة الثقافة والارشاد القومي.
19- سنن ابن ماجة: ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، المجلد الثاني، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث.
20- الشعراء وانشاد والشعر: علي، الجندي، دار المعارف: القاهرة، 1967م.
21- الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية: محمد ابو الانوار، ط2، دار المعارف.
22- الشعر والشعراء: ابن قتيبة، ج1، دار الثقافة: بيروت، 1964.

23- الصراع بين الموالي والعرب: محمد بديع شريف، دار الكاتب العربي بمصر، القاهرة 1954م.
24- طبقات الشعراء: ابن المعتز، تح: عبد الستار، احمد، ط4، دار المعارف.
25- العقد الفريد: احمد بن محمد ابن عبد ربه، تح: د. عبد المجيد الترهسيني، دار الكتب العلمية: بيروت، ج3، ط3، 1987م.
26- فقه اللغة: علي عبد الواحد، الوافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة- القاهرة، ط7، 1973م.
27- في ظلال القران: قطب، سيد، دار العلم للطباعة ونشر، جدة، 1986م، ط12.
28- الكامل: الامام ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد احمد الموالي، مؤسسة الرسالة، ج3.
29- لسان العرب: ابن منظور، دار احياء التراث العربي، مجلد 6، ط1، 1988م.
30- المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي: محمد محمود قاسم نوفل، ط1.
31- المرشد إلى فهم اشعار العرب: عبد الله الطيب، الدار السودانية- الخرطوم، ج1.
32- مروج الذهب ومعادن الجوهر: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ج3، دار الاندلس للطباعة والنشر: بيروت.
33- معاهد التنصيص: العباسي، ت963هت، ج2.
34- معجم البلدان: ياقوت الحموي، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط10، ج1.
35- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: مجدي وهبه وزميله دائرة المعاجم، مكتبة لبنان.
36- المعجم الوسيط: انيس ابراهيم وجماعته (مادة زهد)
37- مفتاح العلوم: محمد بن علي ابو يعقوب السكاكي، ج2، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية- بيروت، 1983م.
38- وفيات الاعيان وابناء انباء الزمان، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، مكتبة النهضة المصرية.